التصويب اللغوي عند ابن قتيبة من خلال كتابه [أدب الكاتب]

بقلم الدكتور فاخر هاشم الياسري
جامعة البصرة ـ كلية التربية

المقدمة

تعاقبت أجيال أمّة العرب واللّغة، وبين اللّغة والمتكلمين بها حبلٌ ممدودٌ وموصولٌ، يتسلمهُ الجيلُ ممن قبله من السّلف إلى الجيل الذي يخلفهُ، وقد ترك كُلّ جيل أثر ثقافته وعقله وفكره ولسانه وقلمه في ذلك الحبل الممدود الموصول بين الأجيال، ذلك الحبل الذي تتغير عبر عصوره ودهوره ألوانهُ وثقافتهُ وطريقة نسجه وفتله، وكانت قد أضيفتْ إليه في كل عصر ألوانٌ تتفاوت أذواق أصحابها، ولكن بقي هذا الحبل المتين المستمر تنعكس عليه بصمات تلك العصور وهي واضحة في الألفاظ وتطور دلالتها وتأليف جملها وأسلوبها. وقد ظهرت في كل عصر أنواع من اللحن وعثرات للألسن والأقلام، وانحراف عن التعبير اللّغوي السّليم، كما ظهر في كل عصر لغويّون وقفوا في وجه اللّحن وتصدّوا لبيان الصّواب والتنبيه على خلافه، سواء منه ما شاع على ألسن العامة وما عثرت به أقلام الخاصّة... ومن هؤلاء اللغويين (ابن قتيبة) ت ((٢٧٦هـ)) من أكبر علماء القرن الثالث المبرزين الذي يعد دائرة معارف شاملة وموسوعة كاملة، فقد كان ذا نفسٍ وطلَعةٍ تواقة إلى المعرفة فغَشي مجالس العلماء ما غَشي، وثقف عنهم ما ثقف مما مكّن له من أسباب القوة، وهيأ من وسائل التّفوق والتبريز. وعليه فقد تدنّى المستوى العام للثقافة اللغوية في القرن الثالث عصر ابن قتيبة[1] إذ ضعفت الملَكَة اللغوية في نفوس كثير من المنشئين، كُتابا وشعراء وطفحت الأخطاء التي في كلامهم، وهذا يعني: أنّ اللغة الفصحى لم تعد لغة الأديب الطبيعية التي ينطق بها على الفطرة، وإنما أصبحت لغة تُتلقّى بالتعلّم والاكتساب، ومع هذا التعلم والاكتساب، ومع هذا التعلم يكون الخطأ[2]. ونظراً لانحطاط المستوى العام للثقافة اللّغوية الذي امتد إلى كتّاب الدولة ووزرائها مما حدا ابن قتيبة على أن يؤلف كتابه (أدب الكاتب) لعلاج هذا الانحراف اللغوي، فكتابه هذا يعلم كيف ينبغي للمثقف أن يعبّر عن أفكاره بالنطقِ والكتابة، وهو يفصح عن الأخطاء التي يجبُ أن يتجنبها، فهو ينصبُ نفسهُ محامياً مدافعاً عن مبدأ (تنقية اللغة العربية) الذي كان فيه الرجل مُغلّبا في ميدانه، فقد كان ابن قتيبة حقاً من اللّغويين المتزمّتين أو ممن سلك سبيل التشدد، واحتضَن مذهب الأصمعيّ، فوسَم أشياء كثيرة باللّحن أو الخطأ وهي صحيحة[3] وقد وسَم أحد الدّارسين المُحدثين مذهبه في التصويب اللغوي بالمذهب المتطرّف[4]. ونتيجةً للتطور اللغوي الحاصل، ولضعف الملكَة اللغوية في نفوس كثير من المُنشئين، نَشطَ النقد اللغوي فظهر التأليف فيه، إذ تكفّل بمعالجة الأخطاء والتنبيه على المُفسد والمُزال من الصيّغ والتراكيب والإرشاد إلى الاستعمال

اللّغوي السّليم. وأنّ أكثر هذه التآليف[٥] قد انصرف إلى إصلاح ما يجري على ألسنة العوام من أخطاء الأدباء والمثقفين[٦] وتحسنُ هنا الإشارة إلى أنّ من التآليف توخّى تنمية لغة الأدباء والنهوض بأساليبهم وتنبيههم على مناسبة كل لفظ، والمقام الذي يُقال فيه كُلّ تعبير ومن تلك التآليف كتاب ابن قتيبة الذي جمع إلى تقويم ألسنة الكتّاب خاصة والأدباء عامّة من معارف لا يستغني عنها أديب[٧].

مناحي التصويب اللغوي عند ابن قتيبة:

لمّا كان وكدنا من هذا البحث المتواضع اجتلاء مناحي التصويب اللُّغوي عند ابن قتيبة فإنا سنجعل كتابهُ المعنون بـ (أدب الكاتب) مدار الكلام، لأنّهُ داخل ضمن دائرة التصويب اللغوي الشائع والذائع في عصره، والكتاب في حقيقتة ينتظم كتبا أربعة هي:

أ) كتاب المعرفة ب) كتاب تقويم اليد ج) كتاب تقويم اللسان د) كتاب الأبنية. والكتاب الثالث من كتاب ابن قتيبة العام وهو (تقويم اللّسان) يكاد يكون خاصّاً بـ (لحن العامّة) أي: الأخطاء اللغوية الجارية على ألسنة الجماهير العامة من الشّعب. أمّا الكتاب الأول وهو كتاب المعرفة ففيه باب من لحن العامة عنوانه (باب معرفة ما يضعُه الناس في غير موضعه)[٨] أمّا عن طريقة ابن قتيبة في عرض الأخطاء وصوابها فهي مختلفة من دون أدنى شكّ فتراهُ حيناً يعرض للصواب بدءاً ثُمَّ ينصُّ على خطئه في مثل قوله "وتقول: هُو أخوهُ بلبان أمّه"، ولا يُقال بلبَنِ أمّه، إنما اللّبنُ الذي يُشْرَبُ من ناقة أو شاة أو غيرهما من البَهائم[٩]. ونراهُ في مكان آخر يعرض للخطأ بدءاً ثم ينبّه على الصّحيح الأمثل، فهو ينصّ قائلاً: ويقولون: " في سبيل الله عليكَ". وهو خطأ، إنّما يقال: "في سَبيلِ الله أنتَ"[١٠]. ونلحظهُ في موضع آخر يعبّر عن الأُسلوب الخطأ بعدم وجهيته بقوله: "ويقولون: (لم يكنْ ذَاكَ في حسابي) وليس للحساب هاهنا وجهٌ إنّما الكلام ما كان ذاك في حِسبْاني، أي: في ظنّي[١١] ويقيناً أنّ علم اللغة الحديث له منظورٌ أو نهجٌ يخالف منظور ابن قتيبة في الأوهام اللّغوية التي وقع فيها عوامّ عصره، أهي أخطاءٌ حقّاً أم جاءت نتيجة تطوّر أصاب العربية عبر العصُور لأسباب صوتية أو دلالية؟، لأنّ كلّ لغة لا بدَّ من أنْ يَعتورَها مع الزّمن شيء من التّحول، وذلك للصلة الوثيقة بأحوال متكّلميها،[١٢] لذا يمكن أن ينظر إلى تصويبات ابن قتيبة نظر الدرس اللغوي الحديث، وباستطاعتنا أن نصنّف تصويباته اللغوية ونرجعها إلى أحد المجالات الآتية:

١. المجال الصوتيّ:

أ] الإبدال: هو إقامة حرف مكان حرف في بعض الكلمات مع بقاء الحروف الأخرى على وضعها من دون تغيير، فتكون هذه الكلمات مشتركة في حرفين مثلاً وإبدال الحرف الثالث في أحدهما بحرف آخر قريب في المخرج أو في الصفة أو قد يكون بعيداً عنه في كليهما مثل: قدَّ وقطَّ، وسقَمَ وقَصَمَ...الخ، وذكر ابن قتيبة بعض الكلمات ممّا يدخل ضمن هذا المجال ممّا يحصل من إبدال في الأصوات الساكنة (Consonants)، وقد وسَم هذا التبدل الصوتي بـ (ما تصحّف فيه العوّام).[١٣]

*** إبدال الثاء تاء:** وهما صوتان متقاربا المخرجين فهما ينحصران بين أوّل اللسان (بما فيه طرفه) والثّنايا العُليا[١٤] كما أنّ (الثاء) صوت مهموس[١٥] و (التّاء): صوت شديد مهموس[١٦] جاء عند ابن قتيبة: يقولون: "التّجير وهو الثّجير بالثاء".[١٧]

***إبدال الذال دالا:** وهو صوتان متقاربا المخرجين[١٨] أولهما: رخو مجهور وثانيهما: شديد مجهور[١٩] وقد أورد ابن قتيبة: أنّهم يقولون: "ملح الدّرَانيّ"

وإنما هو "ذَرَانيّ" بذال معجمة[٢٠] ويماثل هذه اللفظة في إبدال (ذالها دالاً) ما أورده ابن قتيبة أيضا، أنهم يقولون لعيب بالدواب (الجَرَد) بالدال، وهو بالذال معجمة[٢١].

*** إبدال السين شيناً:** السين من الأصوات الأسلية أي: مخرجه من طرف اللّسأن ومن بين الثّنايا العُليا قريبا من السُّفلى،[٢٢] أمّا الشين فهو من الأصوات الشّجْرية ومخرجها من وسط اللّسان

وما يحاذيه من الحَنَك الأعلى،[٢٣] والسين والشين كلاهما صوت رَخْو مهموس،[٢٤] وقد ذكر ابن قتيبة أنّهم يقولون: (شَنَّ عليه دِرْعَهُ) وإنّما هو سَنَّ عليه درعهُ أي: صبَّها[٢٥] أمّا سَنَّ الماءَ على وجهه فمعناه: صَبَّهُ صبّاً سَهْلاً[٢٦] وأما الغارة فإنّه يُقال فيها: (شَنَّ عَليهم الغارة) بالشين المعجمة أي: فرّقها[٢٧].

*** إبدال السين صاداً وبالعكس:** وهما صوتان أسليان صفيريّان، وصوت الصاد يُشْبِهُ السين إذ كلاهما رخوٌ مهموسٌ سوى أنّ الصّاد أحد أصوات الإطباق،[٢٨] وقد ذكر ابن قتيبة جملةً من الكلمات التي كما يرى أنّها بالسين ونُطقت صاداً منها كقولهم: (دابّةٌ شَمُوسٌ) ولا يُقالُ: شَمُوصٌ،[٢٩] ويُقالُ: (أخذهُ قَسْراً) ولا يُقالُ قَصْراً: لأنّ (قَصَرَهُ) بمعنى: حبَسَهُ،[٣٠] وقد استشهد على ذلك بقوله تعالى: "حُورٌ مَقْصُورات في الخيام"،[٣١] وأمّا القَسْرُ عنده فهو القَهْرُ،[٣٢] والملحوظ أنّ ابن قتيبة يرى أنّ في إبدال السّين صاداً تغايراً في الدلالة، على الرغم من أنّ الصوتين يعقب بعضهما بعضاً للشبه الملحوظ بينهما كما ألمحتُ، ومن تلك الألفاظ التي أوردها ابن قتيبة (الرُّسْغ) الذي يرى أنّ الصّحيح في النُّطق هو السّين وليس الصّاد وقد نطقُوا به،[٣٣] كما أورد ابن قتيبة بعض الكلمات التي يرى أنّها يمكن نطقها بالصّاد ولكن نُطقتْ سيناً بطريق الإبدال من ذلك قوله: يُقال: (هو قصُّ الشاة) و (قَصَصُها) ولا يُقال: (قسّ)،[٣٤] ويقال: (بَخَصْتُ عينَهُ) بالصاد ولا يقال: بَخَسْتُها، إنما البَخْسُ: النقصان[٣٥]. ويقال: (قد أصَاخَ) فهو مُصيخٌ إذا استمعَ ولا يُقال: أسَاخَ[٣٦].

*** قلب التاء طاءً:** المعروف أنّهُ لا فرق بين هذين الصّوتين، فمخرجهما من طرف اللّسان وأصول الثّنايا العليا،[٣٧] وهما يشتركان أيضاً في صفة واحدة إذ كلاهما شديد مهموس،[٣٨] غير أنّ صوت (الطّاء) أحد أصوات الإطباق،[٣٩] وقد ألمع ابن قتيبة إلى أنّ العامة يبدلون التاء طاءً وعدّه خطأً فتراه يقول ما نصّهُ: "ويقولون (سكرانُ مُلْطَخٌ) وهو خطأ إنّما هو سكران مُلْتخٌ، أي: مختلطٌ، ومنه يقال: التخّ عليهم أمرُهم أي: اختلَط"....[٤٠].

ب] التوافق في الحركة: يعد ظاهرة صوتية يحصل فيها التماثل والتوافق في الحركات المختلفة في الكلمة الواحدة، ويقع بتاثير إحدى تلك الحركات في الحركة الأخرى المجاورة لها ويعدّ هذا الانسجام في الحركة نزوعاً يترع إليه الناطقون بها إلى تقليل الجهد المبذول وطريقاً من طرق التّطور في الأصوات،[٤١] وهذه الظاهرة تدخل في باب المماثلة أي: مماثلة حركة لحركة أخرى تامّة،[٤٢] وقد نبّه ابن قتيبة على بعض الكلمات التي عمدت العامّة إلى تحريكها، وكان يرى فيها التسكين، ولكنّ البادي للنظر أنّ هذا التحريك عن طريق الإتباع الحركي من ذلك: كلمة (حَفْر) يرى ابن قتيبة أنّ الأصوب أن يقال: (في أسنانه حَفْر) بتسكين الفاء، و (الحَفْر): فساد في اصول الأسنان ولا يُقال: (حَفَر) بالفتح فهذا عنده رديء[٤٣] والملحوظ في كلمة (حَفْر) أن الصوت الثاني تأثّر بالصوت الأول فيحوله إلى صوت مُجانس له ويسمى هذا التأثر بالتقدمي (Progressive)[٤٤]، ومنه لفظة (وَغْر) ويرى الصواب أنْ يقال: (في صدره عليَّ وَغْرٌ) بتسكين الغين أي: توقُّدٌ من الغضَب ويعدّ تحريك الغين بالفتح من لحن العامة،[٤٥] وعلى الرغم من نقله أنّ الأصمعي كان يَقرُّ الفتح أي: (وَغَرٌ)،[٤٦] وإيثار الفتح على السكون في هذه اللفظة هو إتباع ذو تأثير تقدمي إذ تاثر الصوت الثاني بالأول، ويشير إلى إن الأقوم أن يُقال بتسكين اللام (هي حَلْقة الباب) و (حلْقة القوم) ولا يقال (حلَقة) بفتح اللام في شيء من اللام،[٤٧] إلا لحلَقَة الشعر فهو جمع (حالق) مثل: كافر وكفرَة وظالم وظَلَمة،[٤٨] فابن قتيبة قد استبعد فتح اللام في لفظة (حَلْقة)، لأنها تعطي مدلولاً غير المدلول الذي تعطيه هذه اللفظة عندما تسكّن لامها، ولكن العامة حينما حركت اللام بالفتح عندما كانت تقصد (حَلْقة القوم) أو (حَلْقة الباب) جنوحاً إلى ظاهرة الإتباع الحركي إذ تاثر الصوت الثاني بالصوت الأول، فالتأثير تقدّمي، كما ذكر ابن قتيبة أيضاً بعض الكلمات التي يرى أنّ العامّة تنطقها بالفتح أو

بالضم وعنده الصحيح أن تنطق بالتسكين قال: (وتقول (هُما شَرْجٌ واحدٌ) أي: ضَرْبٌ واحدٌ، ولا يُقال شَرَجٌ و (أمرٌ فيه لَبْسٌ) والعامة تقول: لَبَسٌ، و (هُوَ الجُبْنُ) بضم الباء.[٤٩] وهذا كله يمكن حمله على الإتباع الحركي بأنّ الصوت الأول أثّر في الصوت الثاني فأحاله إلى حركة مجانسة له. وذكر ابن قتيبة أيضاً أنّ بعض الألفاظ بابها الكسر وقد نَطَقتْ بها العامة مفتوحة وعلى وجه التخصيص في صيغتي (مِفْعَلَة و مِفْعَل) نحو: (مِطْرقة) و (مِكْسة) (مِفْرغة) ، (مِروْحة)، (مِخَدة)، (مِظَلّة)، (مِطْهرة) بكسر الميم فيهنّ.[٥٠] ومما يُعتملُ أيضاً كما يقول ابن قتيبة: (مِقْطع)، (مِجَرٌّ)، (مِخرزٌ)، مِبْضعٌ)، (مِرْفقُ اليد) بكسر الميم فيهنّ[٥١]. وإذا دققنا في نطق العامة هذه الألفاظ بالفتح بأن عندنا أن كسرة الميم قد تطورت إلى فتحة في هاتين الصيغتين المذكورتين، وذلك مُطّرد تمام الاطّرادعند عوامّ الناس، إذ تأثّرت حركة الميم بحركة العين وبعبارة أخرى تأثّر الصوت الأول بالصوت الثاني وهو المسمّى بالتأثير الرجوعي أو الرّجعي (Regressive).

ج ـ تخفيف الهمز: يُلجأ بعض الأحيان إلى تخفيف الهمز والفرار من نُطقها محقّقة لما يحتاج إليه من جهد عضليّ. لذا التخلص من الهمزة نوع من الميل إلى السهولة والتيسر،[٥٣] إذ إنّ اللغة تميل في تطورها نحو قانون يُعْرفُ بالسهولة والتيسّر فتحاول التخلص من الأصوات العسيرة بأن تستبدل بها أصواتاً أخرى، قد تتطلّب مجهودا قليلاً.[٥٤] لذا مالت بعض اللّهجات إلى تخفيف الهمز والتّخلص منها، كما تخلّصت منها معظم اللّهجات العربية الحديثة، لأنّ صوت الهمز عسير النُّطق، إذ يحصل بانحباس الهواء خلف الوترين الصَّوتيين، بعدها ينفرجان فجأة وهذه العملية تحتاج إلى جهد عضليّ كبير.[٥٥] وقد ذكر لنا ابن قتيبة جملة من الأفعال التي همز والعوامّ تدع همزها أذكرُ طرفاً منها: (طأطأتُ رأسي) و (أبطأتُ) و (توضّأتُ) و (هَيّأتُ) و (توكّأت عليك) و (تـرأسْتُ عليكَ) و (نشأتُ في بني فلان)، (وقد تَلكّأتُ) و (وَمَلأت الإناءَ).....[٥٦]

وذكر أيضا جملة من الأفعال والأسماء المهموزة والعوامّ تبدل الهمزة فيها أو تُسقطها، فمن تلك الأفعال التي أبدلت العامة همزها واواً منها ما ذكره ابن قتيبة بأنه يُقال: آكلْتُ فلاناً: إذا أكلت معه ولا تقل: واكلتُه و (آزيتُهُ): حاذيتهُ ولا تقل: وازيتهُ وكذلك: آخذتُهُ بذنبه وآخيتُهُ وآسيتهُ وآزرتُهُ على الأمر أي: أعنتهُ وقوّيتهُ، و "آتيتهُ على الأمر.[٥٧] كما أنّهُ ذكر بعض الأسماء التي تدخل في باب المهموز والعوامّ تُسقطُ منها الهمزة، منهُ: الدّناءة، الكآبة و "دخل في مساءَة فلان" و "ما أحسن قراءَته للقرآن" و "مات فلان فجأة" وهي "المرآة" والجمع "مراء"،[٥٨] إنّ ما أوردهُ ابن قتيبة من تسهيل الهمز يعّدُ مظهراً من مظاهر التّطور الصّوتي. ولا بدّ من الإشارة هنا إلى بعض ما يُهْمَز له دلالة، وعند تسهيله يعطي دلالة لغوية تختلف عن الدّلالة الأولى، وقدألمح ابن قتيبة إلى هذا الأمر ومثّل له بجملة من الألفاظ أذكر بعضاً منها: يقول ابن قتيبة: "أخطأتُ في الأمر" و "تخطأتُ له في المسألة " و "تخطّيت إليه بالمكروه" غير مهموز فهو من الخُطْوَة[٥٩] وذكر أيضاً يُقالُ: (سَبأتُ الخَمر) بمعنى: اشتريتُها، أما سَبَيْتُ كما يُقال: سَبَيْتُ العَدُوّ.[٦٠] فهي دلالة تختلف عن الأولى، ويُقالُ "صَبأتُ يارجل إذا خرجت من شيء إلى شيء، والصابئون منه أمّا "صَبوْتُ إلى فلانة" فهو من الشوق.[٦١] ومما ذكره أيضاً أنّهُ يقال: "بَرأتُ من العلة" و "برَيتُ القلم".[٦٢] هذا بمعنى آخر ويقال: "كَلأتُ الرجل" إذا حرَسْتهُ و "كليتُهُ" إذا أصبتُ كُليتهُ[٦٣].

٢ـ المجال الصرفي

أ] التشديد والتخفيف: نبه ابن قتيبة على بعض الألفاظ التي نزع العامة فيها إلى نطقها بالتشديد، وكان يرى أن الأصوَبَ والأقومَ فيها التخفيف من هذه الألفاظ: "الرَّباعية" للسنّ، وفي نظره لا يقال: رباعيّة ونظائره: "الكراهيَة" و "الرّفاهيَة" و "الطّواعيَة" ويقال: رجلُ شآم والأنثى: "شآميّة" و "رجل يَمان وامرأةٌ يَمانيّةٌ" و "فعلتُ ذلك طِمَاعيَةً في معروفك" فهذا كلّه يرى فيه التخفيف[٦٤]. ونصّ على أنّه يُقال: "هو الدُّخان" ولا يُشدّد، ونقولُ للداعي:

(أَمِينَ فَعَل اللهُ كذا) بقصر الألف وتخفيف الميم و "آمِينَ" بتطويل الألف وتخفيف الميم، ولا تشدد الميم.[٦٥] وهناك جملة من الألفاظ الأخرى التي يرى فيها ابن قتيبة التخفيف والعامة نطقتْ بها مشدّدة.[٦٦] ويمكن أن يكون تفسير تشديد العامة الألفاظ التي نبّه عليها ابن قتيبة بأن تأتي مخففة لما في التشديد من زيادة في المعنى أو تأكيد لا تحتملُه الصيَغ المخففّة، إذ يدلّ التشّديد حينما يُؤتى به على تكرير الحدث ومداومته، وتكثيره، ليكون ذلك وسيلةإلى تثبيت المعنى في النّفس وإبلاغه.... زيادة على ذلك، فإن الدراسات اللغوية الحديثة تفيد أنّ التشديد سمة من سمات النطق البَدوي.[٦٧] وربما توارثَ العوامّ هذه الخاصيّة وجرت بها ألسنتهم. ونلحظ ابن قتيبة في موضع آخر من كتابه (أدب الكاتب) ينبه على بعض الألفاظ التي بابها التشديد والعوامّ تخفّفها، ولي أن أذكر طرفاً منها فـ (الأجّاص) و (الأجّانة) تقال بالتّشديد وليس بالتخفيف كما هو عند العامة ويرى أن الصواب أن يقال: "جاء نعي فلان" بالتشديد و(هذه فُوّهةُ النّهْر) ولا يُقال: (فُوْهَة).[٦٩] وكان يرى التشديد في علاليّ وسراريّ و أواقيّ وأمانيّ وجوّز التخفيف أيضاً[٧٠]. وقد نقل أنّ الأصمعي كان يقول: عُنِّستِ المرأة، إذا كبرت ولم تزّوج فهي مُعنّسَة ولا يقال: عَنَسَت، وأجازهُ أبو زيد[٧١]، ونبّه على أن يقال: وعَزْتُ إليك في كذا ولم يعرف "وَعَزْتُ" خفيفة[٧٢]. ويمكن أيضاً أن نعطي تفسيراً لهذا التخفيف في بعض الألفاظ التي بابها التشديد كما يقول ابن قتيبة ومن خلال ما أفادته الدراسات اللغوية الحديثة بأن ظاهرة التخفيف سمة من سمات لغة أهل الحواضر والمدن الذين يميلون إلى التؤدة والليونة في نطقهم إذ هي لا تميل إلى النبر العالي ولا إلى التشديد وزيادة الضغط على بعض مقاطع الكلمة.[٧٣] وربّما حمل العوامّ في عصر ابن قتيبة هذه السّمة فاستسهلوا التّخفيف في نطقهم هذه الألفاظ التي أراد لها ابن قتيبة التشديد.

ب] التسكين: والمراد به تسكين بنية الكلمة والغالب وسطها، وهو تسكين صرفي وقد ظهر هذا المظهر في بعض الألفاظ اللغوية التي جنحت العامة إلى تسكين بنيتها، وقد اشار إلى هذه الظاهرة ابن قتيبة بقوله: "باب ما جاء مُحرّكاً، والعامة تُسكّنهُ".[٧٤] كما انه اورد طائفة من الألفاظ التي تسكّن بنيتها العامة، والصواب في نظره محركة منها ما جاء عنده: "أتحفْتهُ تُحَفَةً" و "أصابتْه تُخمة" و "هي اللُّقطَةُ" لما يُلتَقَط، فكلّ هذا عنده على (فُعَلَة).[٧٥] ويرى الأصوب أن يُقال: "هم نُخبَة القوم" أي: خيارهم و "طلعت الزُّهَرَة".[٧٦] كما أنّهُ يرى الصواب أنْ يُقال: "فلان نَغِلٌ بالتحريك كسراً، والعامة نَغْلٌ.[٧٧] ويرى أن يقال: "ذهب دَمُهُ هَدَراً" بفتح الدال لا بتسكينها.[٧٨] وقد علّل بعض الدارسين المحدثين التسكين الذي يقصد به الميل إلى حذف الصائت القصير تعليلاً صوتياً فهو الميل إلى السرعة في النطق، لتوفير الجهد العضلي وهذه سمة من سمات القبائل البدوية[٧٩] أمّا التحريك أو الحرص على اكتمال الألفاظ بالحركات فهو يمثل الحياة الحضرية والحرص على التأني في النطق[٨٠] ويبدو للنظر أنّ العوام كانت تجد في تسكين المتحرك سهولة ويسراً في تعليل الجهد العضلي.

ج ـ التغيير الحركي في البنية الصرفية:

أ ـ ماجاء مفتوحا أو مسكوراً وقد ضمّ: جنحت العامة إلى الضم في طائفة من الألفاظ وكان بابها الفتح أو الكسر وقد وقف ابن قتيبة عند هذه الألفاظ منبّهاً ومقوماً فمن هذا الطراز ما ذكره ابن قتيبة من قولهم: "قبِلْتُ الشيء قَبولاً" بفتح القاف، "وكَلْبٌ سَلوقيٌّ "بفتح السين و "شَنَفُ المرأة" بفتح الشين و "فعلتُ ذلك به (خَصُوصيّة) و "لِصٌّ بين "اللّصُوصيّة". "الأَنْمَلة" واحدة الأنامل بفتح الميم.[٨١] كما ذكر ابن قتيبة بعض الألفاظ التي وردت مكسورة وقد نطقت بها العامة مضمومة، ومثال ما أورده ابن قتيبة أنه يقال: (الخِوان) بكسر الخاء، وفعلت ذلك (صِراحاً) بكسر الصاد، وهو السِّواك بالكسر، ولا يرى الضم فيه، ويُقال: نحن في (العِلْو) وهو في السِّفْل كسرا.[٨٢] وقد علّل الدارسون هذا المنحى وهو الميل إلى الضمّ الذي عدّه ابن قتيبة تحريفاً عن النهج الصحيح

بأنّه مظهر من مظاهر الخشونة البدوية.[٨٣] التي رُبّما وقع شيء منها على السنة العامة.

٢. ما جاء مضموماً والعامة تكسره: كما جنحت العامة إلى كسر بنية بعض الألفاظ التي ارتأى ابن قتيبة ضمها وعدّه من مزالق العامة في نُطقها من ذلك ما قاله: تقول: (هو الفُلْفُل) بالضم، وهي (لُعْبَةٌ)....[٨٤] وذكر أنهُ يُقال: "جاءَ فُلانٌ على ذُكرٍ "بالضم ولا يُقالُ هذا بالكسر[٨٥]، ونقل أن هناك من يجيز اللغتين.[٨٦] ويقال "الفُسْطاط" بضم الفاء و "المُصْران "بضم الميم وهو جمع مَصير، ويقال: هذه عَصاً (مُعْوجَّة) ولا يقال: (مِعْوَجَّة) بكسر الميم، ويقال (ظُفْر اليد) بالضم ولا يُقال: (ظِفر) بالكسر[٨٧]، وقد علل أصحاب النظر اللغوي أن الميل إلى الكسر دليل التحضّر والرقة في معظم البيئات اللغوية.[٨٨] ويبدو أن العامة مالت في غالب الأحيان إلى كسر بعض هذه الألفاظ التي دونها ابن قتيبة لما كانت تحمله هذه الصيغ من ملامح حضرية، والصيغ المشتملة على الضم فيها الملمح البدوي.

٣. ما جاء مضموماً والعامة تفتحه: كما عمدت العامّة إلى فتح بعض الألفاظ التي نبّه ابن قتيبة على ضم بنيتها، فهو يصرّح أن يُقال: "على وجهه طُلاوةٌ" بضم أوله، وأعطيتهُ الشيءَ "دُفْعَةً".[٨٩] ويرى أن يقال: هذه (نُقاوة المتاع) و "نُفايتهُ" و "طال مُكثهُ في المكان" وهي "الدُّوامَةُ" وجعلته: (نُصْبَ عيني).[٩٠] ويبدو أن جنوح العامة إلى الفتح في الألفاظ التي شأنها الضم لما في الفتح من خفة فهي أخف الحركات أو الصوائت القصيرة في العربية، والضم أثقلها[٩١]. لذا الميل إليها يعدُّ طلباً للتخفيف من الجهد العضلي المبذول، زيادة على ذلك، أن الفتحة تلائم البيئة الحضرية للسبب الذي ألمعت إليه[٩٢].

د. ضبط الصيغ:

١. الصيغ الاسمية: كذلك نلحظ ابن قتيبة يرسم طريقاً لغوياً في تقويم الألسن، وذلك بضبط الصيغ الاسمية التي تتقارب في اللفظ والمعنى وربما التبس نطقها على الناس فوضع أحدها موضع الآخر وقد أشار إلى طائفة أذكر بعضها. يرى ابن قتيبة: أن (المَيْل) بسكون الياء ما كان فعلا مستحدثا فيقال: (مال عن الحق مَيْلا) أما (المَيَل) مفتوح الياء، ما كان خِلْقه، بمعنى شيء ثابت متأصّل، فيقال: "في عُنقه مَيَلٌ".[٩٣] وينبه أيضاً على أنّ (الذَّبْح) مصدر ذبَحتُ و "الذِّبْح" بكسر الذال المذبوح.[٩٤] ونحو ذلك ما نبه عليه ابن قتيبة منه (الصوت): صوت الإنسان، و (الصِّيت): الذكر: يقال: ذهبَ صيتُه في الناس.[٩٥] وينبه أيضاً على أن (الدَّعوة) في النسب بكسر الدال و (الدَعْوة) إلى الطعام بالفتح. وينبّه على أنّ (العَلاقة): علاقة الحب والخصومة، بالفتح و (العِلاقة): السّوط بالكسر.[٩٦] فهو يفرق بين المعنوي والمادي ونظيره ما ذكره وهو: (العوَج) بكسر العين فعنده هذا في الدين، والأرض.[٩٧] مستشهداً بقوله تعالى: "وَيَبْغُونها عِوَجاً".[٩٨] أمَّا العَوَجُ بفتح العين فهذا يُقال في غيرها أي: ما خالف الاستواء وكان قائماً على الخشبة والحائط ونحوهما.[٩٩] والملحوظ من قوله إنّ الفتح للماديات أمَّا الكسر فهو في المعنويات ولكنّه أدخل معها (الأرض) محمولة على الماديات لما يتعلق بها من الاستواء وعدمه، وكما نبه على أن (الوَقر) بفتح الواو: الثّقل في الأذن و (الوِقر) بالكسر: الحمل.[١٠٠] ونبه على أنّ (النَّشْر) بسكون الشين:الريح الطيبة و (النَّشَر) بفتح الشين كما يقال: رأيتُ القوم نَشَراً: منتشرين.[١٠١] ويمكن أن تكون هناك علاقة واضحة بين الريح لانتشارها وتفرّق القوم من هنا وهناك..... كما نبه ابن قتيبة على بعض الصيغ الاسمية التي تختلف في حروف مبانيها عن غيرها لاختلاف معانيها. فيرى أنْ يُقالَ على وجه الصحّة: (رجل مُبطِّنٌ): إذا كان خميص البطن و (بطين): إذا كان عظيم البطن (في صحّة) و (مَبْطُون): إذا كان عليل البطن، و (بَطِنٌ): إذا كان نَهماً و (مِبْطان): إذا ضخم بطنه من كَثْرة ما يَأكلُ[١٠٢]. وقوله: رجلٌ (مُظَهَّرٌ): إذا كان شديد الظَّهْر و(رَجُلٌ) ظَهِرٌ): إذا اشتكى ظهره.[١٠٣] وينقل أيضا أنّه يقال: رجلٌ تَمْريٌّ: إذا كان يحبّ أكل التمر، فإذا كان يبيعه فهو تمّار، فإذا كَثُرَ عنده التمر، وليس بتاجر فهو "مُتمِرٌ" وإذا أطعمه

الناسَ فهو " تامرٌ".[١٠٤]

٢. الصيغ الفعلية: ونجد ابن قتيبة أيضا يعمل نظرةُ اللغوي فيرسم حدوداً لغوية لضبط الصيغ الفعلية التي ربّما يلتبس ضبطها على الناس أو الناطقين بها منه ما ذكره: "عَلوتُ في الجبل عُلوّاً" و "عَلَيْتُ في المكارم عَلاءً".[١٠٥] ويقال: قَلوْتُ اللحْمَ، وقليْتُ الرَجُل بمعنى: أبغضته.[١٠٦] ويقال: كَبِرَ الرجلُ: إذا استنَّ و (كَبِرَ الأمرُ): إذا عَظُم.[١٠٧] ويرى الصواب أن يقال: "قُتِلَ الرجلُ بالسيف" ونحوه، فإنْ قتلهُ عِشْق النساء.... فليس يقال فيه إلا اقتتلَ.[١٠٨] وأن يقال تَجَدَّتُ فهو بمعنى سَهِرْتُ، أما هجَدْتُ فمعناه: نمْتُ.[١٠٩] أمّا نميتُ الحديثَ فمعناه فعلتهُ على جهة الإصلاح، أما (نَمَّيْتُهُ) مشدّداً فمعناهُ: نَقلتُهُ على جهة الفساد[١١٠].

*** في صيغة [فَعَلَ وأفْعَلَ] الفعلية:** كما وقف ابن قتيبة على بعض الصيغ الفعلية التي تأتي على وزن (فَعَلَ) مرة وعلى وزن (أَفْعَلَ) مرة أخرى، وهذه المسألة اللغوية فيها اتجاهان اتجاه يرى أنّ المعنى لكلتا الصيغتين واحد واختلاف الصيغة يعود إلى اختلاف اللهجات.[١١١] أمّا الاتجاه الثاني فقد أنكر أن تكون الصيغتان بمعنى واحد.[١١٢] وكان يرى ابن قتيبة أن صيغة (فَعَلَ) قيمة دلالية تختلف عن صيغة (أَفْعَلَ) ولذلك عرض لهذه المسألة منبّهاً على هذا التفريق الدلالي بين كلتا الصيغتين الفعليتين فهو يرى أن القول: (تَرِبَتْ يَداك) بمعنى افتقرْت أما أتْرِبَتْ يداك فمعناه استغنيْت[١١٣]، والقول: "أخفيتُ الشيءَ "بمعنى سَترتُه أما خفَيتُه فمعناه: أظهرتُهُ.[١١٤] ويرى في القول: "أقْصَرَ عن الأمرِ" نزع عنه وهو يقدر عليه، والقول: "إذا عَجزَ عنه".[١١٥] ويبدو للنظر أنّ ابن قتيبة حاول أن يفرق بين كلتا الصيغتين وإن كان معناهما قريبا. إن لم أقل واحدا فهو يقول: "خفقَ النجمُ" إذا غاب و "أخْفَقَ": إذا هَيّأ للمغيب.[١١٦] و "لاحَ النجمُ": إذا بدا و "ألاح": إذا تلألأ ويقول: "أكننْتُ الشيءِ": إذا سترته و "كَنَنْتَ الشيءَ: صنْتُهُ، والملحوظ أن ستر الشيء هو صيانته ويقول: "أتبعتُ القومَ" بمعنى: لحقْتُهم و "تبعتُ القومَ" بمعنى: سِرْتُ في إثرِهم.[١١٧] والسَّيرُ في إثرهم معناه: اللّحقُ بهم، ويقول: شرَقت الشمسُ شُروقاً: إذا طلعتْ و "أشرقتْ": أضاءت.[١١٨] وألحظ أنّ طلوع الشمس: هو إضاءتها، وعليه فيمكن عدّ بعض هذه الأفعال التي وردت بكلتا الصيغتين ومعناها واحد من باب اختلاف اللهجات.

*** التزام صيغة البناء للمجهول في بعض الأفعال:** كما نبّه ابن قتيبة على ضبط بعض الأفعال التي التزمت صيغة البناء للمجهول التي رُبّما حرّف الناطقون بها في بنيتها فجاءوا بها على غير بنائها أو صيغتها المعهودة وقد أورد ابن قتيبة جملة من هذه الأفعال مؤكّداً بناء صيغتها بإرداف تلك الأفعال بعض أسماء مفعولاتها، من هذه الأفعال التي ذكرها: (زُهِيَ): يقول زُهِيَ فهو مَزْهُوٌ، ولا يُقال: زَها ولا هُوزاه.[١١٩] (نُخِيَ): يقول: وكذلك: نُخِيَ من النَّخوة فهو مَنخُوٌ[١٢٠]، و (عُنِيَ)، يقول: عُنيْتُ بالشيء فأنا أُعْنى به ولا يُقال: عَنيْتُ.[١٢١] و (أُهْرِعَ) يقول: "أُهْرِعَ الرَّجلُ" فهو مهروعٌ وكذلك: أُهِلَّ الهلالُ و "أُسْتُهِلَّ" و "أُغْمِيَ على المريضِ" و "غُمِيَ عليه" و (غُمَّ الهلالُ على الناس[١٢٢].

*** ما جاء من الأفعال على بناءين:** ذكر ابن قتيبة من الافعال التي جاءت على بناءَين أو ما جاءعلى لغتين على حدّ تعبير ابن قتيبة.[١٢٣] وقد نَظَر ابن قتيبة إلى الأول على أنه استعمال ضعيف عمد إليه الناس.[١٢٤] وقد بيّن البناء الثاني. هو الأجود في الاستعمال فحريٌّ بأن يُتّبع ويحتذى: من ذلك ما أورد: يقولون: "نَقمْتُ عليه" و "نَقَمْتُ" فأنا أنْقِمُ أجود، ويقولون: "قَحلَ الشيءُ": إذا جفَّ وقَحَلَ أجْود[١٢٥] ويقولون: "وَحَذَقَ الغُلامُ القرآن" وغيره، حَذَقَ أجود[١٢٦] ويقولون "مَسسْتُ" والأجود: مَسِسْت[١٢٧] ويقولون: "غَصَصْتُ باللقمة" والأجود "غَصِصْتُ"[١٢٨] ويقولون: "رَعُفَ الرجلُ" والأجود: "رَعَفَ يَرْعُفُ"[١٢٩]، ويقولون: "طَهُرت المرأة"، والأجود: طَهَرتْ[١٣٠] إلى غير ذلك من الأمثلة اللغوية التي أوردها[١٣١]. فإذا رجعنا النظر فيما تقدم وجدنا أنّ ابن قتيبة كان

يضيق على الناطقين الاستعمال الأول فيرى أنّ الاستعمال الثاني لغة ولا مُشاحة في استعماله، لأن اختلاف اللغات كُلها حُجة كما يقول ابن جني[١٣٢].

٣ـ المجال التأليفي [النحوي]: عرض ابن قتيبة للأوهام التي تحدُث في التاليف وقد غلب عليها الطابع الأسلوبي وليسَ الإعرابي المحض المتصل بالحركات رفعاً ونصباً وجراً، فتلك مسالة لم تُشغلْ مصححي اللغة كثيراً؛ لأنّ مظانّ النحو تكفلت بدراستها وكانت الأوهام في التأليف التي عرض لها ابن قتيبة ليست بالقليلة، لذا ساقتصر على ذكر طائفة منها: تقول: "لقيت فلاناً وفلانة" إذا كنيَّت عن الآدمّيين بغير ألف ولام فإذا كنيَّت عن البهائم قلته بالألف واللام، وتقول:رَكبت الفُلان وحَلبْتُ الفُلانة.[١٣٣] وتقول: "لا يُساوي هذا الشيءدرهماً" ولا يُقال: لا يَسْوي.[١٣٤] وتقول: هُو منّي مَدى البَصَر "ولا يُقال: مدّ البَصَر، والمَدى: الغاية[١٣٥]، ويقولون: حَكّني موضع كذا من جَسَدي "وهو خطأ إنّما يُقال: أكلني فحَككْتُه.[١٣٦] والملحوظ أن الأول الآن مستعمل على قلّة، ويقولون: "فلان مُستأهلٌ لكذا " وهو خطأ إنّما يقال: فلانٌ أهلٌ لكذا"...[١٣٧]. والظاهر أنّ كلا التعبيرين مستعمل ولكن ابن قتيبة أراد الأفصح ويقولون: "في سبيل الله عليكَ" وهو خطأ إنما يُقال: في سبيل الله أنت[١٣٨]. ويقولون: "لم يكن ذاك في حِسْابي" وليس للحساب ها هنا وجه إنما الكلام ما كان ذاك في حسابي أي: في ظنّي، يقال: حَسِبْتُ الأمرَ حِسْباناً.[١٣٩] ويقولون: آخرُ الدّاء الكَيّ" وهو خطأ إنما هو آخر الدواء الكَيّ.[١٤٠] ويقولون: "تجوعُ الحرةُ ولاتأكلُ ثَدْيَيْها "يذهبون إلى أنّها لا تأكل بثدييها لحم الثدي، وإنّما هوولا تأكل بثدييها أي: لا تُسترضَعُ فتأخذ على ذلك الأجر.[١٤١] وكلام ابن قتيبة مُتّجه صحيحٌ. ويقولون: "إنْ فَعَلتَ كذا وكذا فبها ونعمْة" يذهبون إلى النعْمة وإنّما فبها ونعْمتْ ــ بالتاء ــ في الوقف. يريدون: ونعْمت الخصْلة، فحذفُوا.[١٤٢] يُقال: "ما سّرني بذاك مُفرحٌ" لأنه يقال: أفْرَحني الشيء.[١٤٣] أي: أن الفعل متعدٍّ. ولا يقال: "مَفْروحٌ" إلاّ أن نقول: مَفروح به".[١٤٤] لأن الفعل لازم فلا يبنى منه اسم مفعول تام يحتاج إلى شيء يكمله مثل: الجار والمجرور أو غيره ونظير هذا ما قاله ابن قتيبة: إنه يقال: "هو حديث مُستفيضٌ" لأنّهُ من استفاض الحديثُ، ولا يُقال:مُسْتفاضٌ إلاّ أنْ يُقال: مُستفاضٌ فيه.[١٤٥] أي: إن الفعل هنا لازم وإذا ما بني منه اسم مفعول فهو يحتاج إلى شيء يتعلّق به ونقول: "إياكَ وأنْ تفعلَ كذا" ولا تقول: إياك أن تَفعل كذا" بلا واو، ألا ترى أنّكَ تقول: إياكَ وكذا، ولا يقال: إياكَ كذا.[١٤٦] فالملحوظ على ابن قتيبة هنا أنّه يعمد في تصويبه الأسلوبي إلى القياس على النظير ويصح عند ابن قتيبة أن يقال: "كاد فلانٌ يفعل كذا" ولا يصح عنده القول: "كاد فلانٌ أن يفعل كذا "مستشهدا بقوله تعالى: "فَذَبحُوها وما كادُوا يَفْعَلُونَ".[١٤٧] وابن قتيبة في تصويبه هذا يعمد إلى الكثير فالكثير في خبر "كادَ" أن يتجرد من "أنْ" ويقلّ اقترانها بها.[١٤٨] ويعمد إلى الاستشهاد بالقرآن الكريم لأن تجرد خبر(كادَ) من "أنْ" أسلوب قرآني، لذا هو يصحح الأساليب في ضوئه إذ عنده تجريد خبر (كادَ) من "أنْ" هو الافصح والأصرح. ويرى أن يقال: "بنى فلان على أهله" ولا يقال: بنى بأهله:[١٤٩] والظاهر أنّ ابن قتيبة نظر في هذا الأسلوب إلى الأصل "وكأن الأصل فيه أن الداخل بأهله كان يضرب عليها قُبةَ ليلة دخوله بها، فقيل لكلّ داخل. بأهله بان.[١٥٠] ويرى أنّ الأصوب أن يُقال: "قد سَخِرْتُ منه" ولا يقال: "سَخِرْتُ به".[١٥١] معزّزاً تصحيحه بقوله: "سَخِرَ الله منْهُم".[١٥٢] وقوله تعالي: "إن تسْخَرُوا منّا فإنّا نَسْخَرُ منْكُم"[١٥٣] فابن قتيبة يبحث دائماً عن الأفصح والأعلى في التعبير ولذلك نلحظه في تفاريق تصويباته اللغوية مقوماً الأساليب في ضوء الشاهد القرآني. ويرى أنّ الصواب أن يُقال: "عَيَّرتْني كذا "ولا يقال: "عَيَّرتْني بكذا" كما يعرض ابن قتيبة إلى أسلوب تعبيري يتعلق بتعدي الفعل ولزومه فهو يرى أنّ الأجود في التعبير أن يستعمل الفعلان "نَصَحَ" و "شكرَ" لازمين من غير تعدية فهو ينصّ قائلاً: "ويقولون: نصَحْتك وشكَرْتك" والأجود: نصَحْت لك وشكَرتُ لكَ".[١٥٥] معزّزا

تصويبه هذا بالشاهد القرآني من قوله تعالى "اشكُرْ لي ولوالديكَ".[١٥٦] وقوله تعالى "وأنْصَحُ لكُم.....".[١٥٧] ولي تعليق على ما أورده ابن قتيبة وهو: أنّ الفعل (شَكَرَ) قد مرّ في طورين طور اللّزوم والتعدي بالحرف فكانَ يقال: "شكرتُ لهُ" ثم عرض له طور سقط منه (اللام" وصار يتعدىَ مفعوله مباشرة فيقال: شكرتُهُ.[١٥٨] وإذا تتبعنا هذا الفعل في الاستعمال القرآني وجدناه على النحو الآتي: فقدْ استُعمل لازما نحو(٣٤) مرّة ولازما يتعدى باللام(٩) مرات ومتعديا (٣) مرات على أنّ ابن قتيبة قد نص على لزوميته فاستشهد بالقرآن الكريم فلم ينصّ على تعديته على الرغم من ورودها في القرآن الكريم، أمّا الفعل (نَصَح) فقد جاء في الاستعمال القرآني لازماً، متعدياً باللام(٥) مرات وعلى الرغم من ورود هذا الفعل لازماً لا يمنع من تعدّيه بمثل ما حدث في الفعل (شَكَرَ) وغيره، لأنّ الفعل (شَكَرَ) كان يمثل اتجاهاً من التطّور الذي تسير فيه العربية ولا يمنع كما أنحت من تعدية الفعل (نصَحَ) لأنّه يمثل أيضا اتجاهاً مع التطور اللغوي فيستعمل تارةً لازماً وأخرى متعدياً.....

٤ المجال الدلالي:

اللغة مثل الكائن الحي ينمو ويتأثر وكذلك هي تنمو وتُستعمل وتنتقل من جيل إلى آخر لتعبر عن أفكارهم ومطالبهم وحياتهم وهي في انتقالها هذا تؤثر وتتأثّر فتموت ألفاظ وتحيا أخرى وتضيق ألفاظ وتتسع أخرى بدلالاتها... تلك هي صفات اللغة الحية فاللغة لم تخلق لتوضع في بطون الكتب المقفلة ولا في خزائن العرض؛ وإنما خلقت للاستعمال....الذي يهمنا في بحثنا هذا أنّه كيف وقف ابن قتيبة من تطور دلالات الألفاظ؟ وقبل الإجابة عن هذا التساؤل لا بدّ من أن نلفت إلى أمر وهو: أنّه لا شكّ في أنّ ابن قتيبة كانَ من اللغويين الأشداء الذين تصدوا لحماية اللغة والدفاع عنها، ولا خلاص لمن يتولى حماية اللغة والدفاع عنها من أن يدقق النظر فيما يعرض لها ويطرأ عليها ليفرق ما بين هو خطأ مرفوض، وما هو تطور وبتجديد مفروض يجري على وفق سننها وينقاد لنظامها. وإجابتنا عن هذا التساؤل يكمن في أنّ ابن قتيبة قد رفض التطور الدّلالي الذي أصاب عددا من المفردات وبذا أورد موادَّ غيّر الناس دلالاتها ، ووقف منها موقفاً متشدّداً وقد تبيّن أنّ الألفاظ التي عَمد الناس إلى تبديل دلالاتها تسلك إحدى الطرائق الآتية:

أ] التّعميم: وهذا يكون بتوسيع دلالة اللفظ ونقله من معناه الخاص الذي يدل عليه إلى معنى أعمّ وأشمل.[١٥٩] فمن تعميم الخاص ما جاء عند الناس وقد اورد ابن قتيبة كلمة (القافلة) التي اتسع مدلولها واصبح أعَّم مما تدل عليه فهي تعني قديماً: الرُّفقة العائدة من السفر.[١٦٠] لأنّها من (قَفَلَ) أي: رَجَع.[١٦١] بعدها صارت تعني: الرُّفقة في السَّفر ذاهبة كانت أو راجعة.[١٦٢] إلاّ أنّ ابن قتيبة رفضَ هذا الاتسّاع والتّعميم في دلالة اللفظة وحَكمَ عليه بالخطأ وعنده القافلة: الراجعة من السفر.[١٦٣] وهو تضييق دلالة الكلمة كما اتسعت دلالة (يتصدَّق) وصار الناس يقولون: "فلانٌ يتصدَّقُ": إذا أعطى وفلان يتصّدق: إذا سأل.[١٦٤] وقد رفض ابن قتيبة هذا التعميم أو التوسع الدلالي قائلاً: "وهذا غلط والصواب: "فلانٌ يسألُ" وأما المُتصدق فهو المُعطي".[١٦٥] ومن ذلك أيضا كلمة "العَبيْر" التي توسّعت العامة في استعمالها فعندهم: الأخْلاط في الطيب.[١٦٦]، وقد ذكر ابن قتيبة ناقلاً: أنّ العبير عند العرب لا يطلق إلا على الزَّعْفَران وحدهُ.[١٦٧] فهو يرفض هذا التَعْميم والتوسّع في الدلالة.

ب] التخصيص: وهو قصر اللفظ العام على بعض أفراده وتضييق شموله.[١٦٨]، ومن أمثلة هذا التضييق في عموم الدلالة فيما أورده ابن قتيبة فكلمة "الطَّرب" قد تخصصت دلالتها، إذ اصبحت تُطْلَقُ كما يقول ابن فتيبة على "الفَرَحَ" دون الجزَع.[١٦٩] ولكن ابن قتيبة قد رفض هذا التخصص الدلالي واسما هذا بالخطأ وداعياً إلى استعمال الكلمة بالمعنيين إذ هو يقول "الطَّرَبُ: يذهب الناس إلى أنّه في الفَرَح دون الجَزع وليس كذلك إنّما الطرب خفّة تصيب الرجل لشدّة السرور، أو لشدة الجَزع"[١٧٠]. كما أنّ كلمة المأتم قد

تخصّصت دلالتها أيضا وصارت تعني: اجتماع الناس لمصيبة.[١٧١] وقد رفض ابن قتيبة هذا التطور الذي اعتور دلالة الكلمة حتى وسمه بالخطأ ويرى أن (المأتم) للنساء يجتمعن في الخير والشر.[١٧٢] وكان يرى وجه الصواب أنْ يُقال: كنّا في مناحة وإنّما قيل لها مناحة من النّوائح لتقابُلهن في البُكاء.[١٧٣] وألحظ أن لفظة (المأتم) قد تحددت دلالتها، وتخصّصت إلى أبعد حد مما كان يستعمله الناس ويؤاخذهم عليه ابن قتيبة.... ومن ذلك أيضا لفظة "الحَمام" التي خصصت دلالتها بالدواجن التي تُستَفْرخُ في البيوت.[١٧٤] وقد غلّطَ ابن قتيبة الناس في هذا التخصيص الذي أصاب الكلمة ويرى أن الحمام محصور بذوات الأطواق وما أشبهها مثل الفواخت والقماريّ والقَطا[١٧٥]...

ج] تغير مجال الدلالة: والمقصود به انتقال اللفظ من معناه إلى معنى مشابه له أو قريب منه بينهما مناسبة[١٧٦]؛ وبعبارة أخصر ما وُضع في غير موضعه، وعليه فانتقال دلالة بعض الكلمات وتغير مجال استعمالها، فقد وقف ابن قتيبة من هذا التطور موقفه من تخصيص الدلالة أو تعميمها، ووسمه بالخطأ أيضا ومن أمثلة تغير مجال الدلالة قوله: "من ذلك: (أشفار العَين) يذهب الناس إلى أنّها الشّعَر النابت على حروف العين، وذلك غَلَط، إنّما الأشفار حروف العين التي ينبتُ عليها الشّعَر والشّعرُ هو الهُدْبُ).[١٧٧] وتسمية الشعر شُفْراً من باب تغيّر الدلالة أو تسمية الشيء باسم الشيء إذا كان من باب المجاورة وقد ألمع إليه ابن قتيبة نفسه.[١٧٨] ومن ذلك قوله: "حُمَةُ العَقْرب والزُّنْبُور" يذهب الناس إلى أنّها شَوْكَة العَقْرب وشوكة الزُّنْبُور التي يلْسَعان بها: وذلك غَلَط، إنّما الحُمَة سُمُّهما وضرُّهما.[١٧٩] وهذا يدخل أيضا ضمن باب تسمية الشيء باسم غيره ونظير ما تقدم (الحِشْمَة) فهو يقول ناصّاً على أنّها: "يضعها الناس موضع الاستحياء قال الأصمعيّ: وليس كذلك إنما هي بمعنى الغَضَب".[١٨٠] ومن ذلك أيضا لفظتا: (البَخيل واللّئيم) الذي يرى ابن قتيبة أنّ الناس يذهبون إلى أنهما سواء وعنده ليست كذلك، وإنما البخيل الشحيح الضّنين، واللّئيم: الذي جمع الشح ومهانة النفس ودناءة الآباء.[١٨١] ومن ذلك: "الجبْهَة والجَبين" فيرى ابن قتيبة أن الناس لا يكادون يفرقون بينهما فعنده: الجبْهَة: مَسْجِد الرجل الذي يصيبهُ نَدبُ السجود والجبينان يكتنفانها من كل جانب جبينٌ.[١٨٢] وكذلك (اللّبّة) إذ يرى أنّ الناس يذهبون إلى أنّها النُّقْرة التي في النحر وذلك غلط إنما اللّبّة المنحر فأمّا النُّقْرة فهي النُّغْرة[١٨٣].

إن هذه الأمثلة التي سقناها تؤيد ما ذهبنا إليه وهو موقف ابن قتيبة المتشدّد الذي يرفض انزلاق الألفاظ أو المفردات عما وضعت له، ونثبت أيضاً ومن خلال عرض هذه المظاهر الدلالية لهذه الألفاظ: أنّ ابن قتيبة لم يُعْنَ بالتطوّر الدّلالي الذي اعتوَر الألفاظ بل رفضه رفضاً قاطعاً كما يدل على ذلك الأمثلة التي وقفنا عندها إذ دعا ابن قتيبة الأدباء إلى حصر استعمال تلك الألفاظ أو المفردات بالمسموع من معانيها ليس غير.....

خلاصة البحث ونتيجته:

بعد أن جلَونا مناحي التصويب اللّغوي عند ابن قتيبة من خلال ما بثّه في كتابه (أدب الكاتب) نستطيع التّبين أنّ ابن قتيبة كان من النقاد اللُغويين المُتشددين الذين يرفضُون بعض المظاهر التي تعرض للغة مما يوافق روحها وينْسَاق مع طبيعتها وسنن التعبير بها، والذي حمله على هذا الموقف غيرَتُه على اللغة ورغبتُه الملحة في ذب عوامل الفسَاد عنها، ولكن حماية اللغة أو المحافظة عليها يعني: تحريرها من الجمود، لأنّ اللغة استعمال يتعرض للتطور والتجديد وقد لاحظنا ابن قتيبة أيضا يذهب نحو الأفصح والأصرح في كلام العرب مستعيناً في بعض الأحيان بالشواهد القرآنية حجة في الاستشهاد اللغوي ونراه يتخذ الجانب المعياري الذي اتخذه غيرهُ من اللّغويين العرب مقياساً للصواب لا يمكن الحيُود عنه أو مجانبتهُ، وقد بيّنا وأوردنا أمشاجاً مما عرض من أوهام أو أغلاط العوامّ في عصره واستطعنا أن نرجع أغلب ما وقف عنده ابن قتيبة إلى واحد من المجالات الصوتية والصرفية والتأليفية (النحوية) والدلالية...

الهوامش

١) ينظر: العربية لـــ يوهان فك/ ١٣٨ وما بعدها.

٢)ينظر: النقد اللغوي عند العرب لـــ د. نعمة رحيم العزاوي/٦٨.

٣) ينظر: الاقتضاب لابن السـيد البطليوسـي/٢١٦ والنقـد اللغوي عند العرب/٤٠١.

٤) ينظر: العربية/١٠٤

٥) منها: ما تلحن فيه العامة للكسائي، إصلاح المنطق لابن السكيت، والفصيح لثعلب، ولحن العوام للزبيدي.

٦) النقد اللغوي عند العرب/٦٩.

٧) المصدر السابق/ ٦٩ ــ ٧٠.

٨) ينظر: أدب الكاتب/١٧

٩) المصدر السابق/٣١٥

١٠) المصدر السابق/٣١٩

١١) المصدر السابق

١٢) النقد اللغوي عند العرب/٣١٤

١٣) أدب الكاتب/٣٩٨

١٤) الأصوات اللغوية لـــ د. إبراهيم أنيس/٤٦

١٥) المصدر السابق/ ١٤٧

١٦) المصدر السابق/ ٦٧ وينظر: فقه اللغة وخصائص العربية لمحمد المبـارك/ ٥٠ وما بعدها.

١٧) أدب الكاتب/٢٩٨

١٨) الأصوات اللغوية/ ٤٦

١٩) المصدر السابق/ ٤٧ ــ ٤٨

٢٠) أدب الكاتب/ ٢٩٨، والّذرأةُ: البياض

٢١) المصدر السابق

٢٢) ينظر: فقـه اللغة وخصائص العربـية/ ٤٨، والأصوات اللغوية/ ٤٧ و ١٠٨

٢٣) فقه اللغة وخصائص العربية/٤٧

٢٤) الأصوات اللغوية/ ٧٦ ــ ٧٧

٢٥) ادب الكاتب/ ٢٩٨

٢٦) المصدر السابق

٢٧) المصدر السابق/ ٢٩٨ ــ ٢٩٩

٢٨) الأصوات اللغوية/ ٧٥

٢٩) أدب الكاتب/ ٢٩٩

٣٠) المصدر السابق

٣١) سورة الرحمن/ ٧٢

٣٢) أدب الكاتب/ ٢٩٩

٣٣) المصدر السابق

٣٤) المصدر السابق/ ٢٩٨

٣٥) المصدر السابق/ ٣٠٠

٣٦) المصدر السابق

٣٧) فقه اللغة وخصائص العربية/٤٨

٣٨) الأصوات اللغوية/ ٦١ ــ ٦٢

٣٩) المصدر السابق/ ٦١

٤٠) أدب الكاتب/ ٣١٩

٤١) في اللهجات العربية لـــ د. إبراهيم أنيس/٩٦

٤٢) علم اللغة العربية لـــ د. محمود فهمي حجازي/٢٢٩

٤٣) أدب الكاتب/٢٩٥

٤٤) اللهجات العربية في القراءات القرآنية لـــ د. عبده الراجحي/١٢١.

٤٥) أدب الكاتب/ ٢٩٥.

٤٦) المصدر السابق

٤٧) المصدر السابق

٤٨) المصدر السابق

٤٩) المصدر السابق/٢٩٦

٥٠) المصدر السابق

٥١) المصدر السابق

٥٢) اللهجات العربية في القرءات القرآنية/١٢٦

٥٣) ينظر: في اللهجات العربـــــــية٧٧، والتطور اللغوي لـــ د. رمضان عبدالتواب/٤٧

٥٤) التطور اللغوي/٤٧

٥٥) المصدر السابق/ ٤٧ ــ ٤٨

٥٦) ينظر: أدب الكاتب/ ٢٨٣ ــ ٢٨٤

٥٧) المصدر السابق/ ٢٨٤

٥٨) المصدر السابق

٥٩) المصدر السابق/ ٢٨١

٦٠) المصدر السابق / ٢٨٢

٦١) المصدر السابق

٦٢) المصدر السابق

٦٣) المصدر السابق

٦٤) المصدر السابق/ ٢٩٢

٦٥) المصدر السابق

٦٦) ينظر: المصدر السابق/ ٢٩٢ وما بعدها

٦٧) ينظر في اللهجات العربية /١٠٠.

٦٨) ينظر: أدب الكاتب/٢٩٠

٦٩) ينظر: المصدر السابق/ ٢٩٠ ــ ٢٩١

٧٠) ينظر: المصدر السابق/ ٢٩١

٧١) ينظر: المصدر السابق

٧٢) ينظر: المصدر السابق

٧٣) ينظر: في اللهجات العربية/ ١٠٠، والظواهر اللغوية في قراءة الحسن البصري لـ د. صاحب أبو جناح/٥٠

٧٤)أدب الكاتب/ ٢٩٦

٧٥) المصدر السابق

٧٦) المصدر السابق

٧٧) المصدر السابق/ ٢٩٨

٧٨) المصدر السابق

٧٩) اللهجات العربية في القرءات القرآنية/ ١٥٧

٨٠) المصدر السابق

٨١) ينظر: أدب الكاتب/ ٣٠٤

٨٢) ينظر: المصدر السابق/٣٠٧

٨٣) في اللهجات العربية/ ٩١

٨٤) أدب الكاتب/ ٣٠٦

٨٥) المصدر السابق

٨٦) المصدر السابق

٨٧) المصدر السابق

٨٨) في اللهجات العربية/ ٩١

٨٩) أدب الكاتب/ ٣٠٥

٩٠)المصدر السابق/ ٣٠٦

٩١) ينظر: اللهجات العربية في القرءات القرآنية/ ١١٨ و ١٢٠ و١٢٢.

٩٢) ينظر: المصدر السابق/١٢٢

٩٣)أدب الكاتب/ ٢٣٩

٩٤) المصدر السابق/ ٢٤٠

٩٥) المصدر السابق/ ٢٤١

٩٦) المصدر السابق/ ٢٤٦

٩٧) المصدر السابق/ ٢٤٣

٩٨) سورة الأعراف/ ٤٥ .

٩٩) أدب الكاتب/ ٢٤٣

١٠٠) المصدر السابق/ ٢٤٦ .

١٠١) المصدر السابق/ ٢٥٠

١٠٢) المصدر السابق/ ٢٥١ ــ ٢٥٢

١٠٣) المصدر السابق/ ٢٥٢ .

١٠٤) المصدر السابق

١٠٥) المصدر السابق/ ٢٦٤ .

١٠٦) المصدر السابق/ ٢٦٥

١٠٧) المصدر السابق.

١٠٨) المصدر السابق/ ٢٦٧

١٠٩) المصدر السابق / ٢٦٨ .

١١٠) المصدر السابق

١١١) ينظر: لهجة قبيلة أسد لعلي ناصر غالب/ ١٧٠ ــ ١٧١.

١١٢) المصدر السابق/ ١٧٢ .

١١٣) أدب الكاتب/ ٢٦٩

١١٤) المصدر السابق.

١١٥) ينظر المصدر السابق: /٢٧١

١١٦) المصدر السابق/ ٢٧٢ .

١١٧) المصدر السابق/ ٢٧٢ ــ ٢٧٣.

١١٨) المصدر السابق.

١١٩)المصدر السابق/ ٣١٠

١٢٠) المصدر السابق.

١٢١) المصدر السابق

١٢٢) المصدر السابق.

١٢٣) المصدر السابق/ ٣٢٤

١٢٤) المصدر السابق .

١٢٥) المصدر السابق

١٢٦) المصدر السابق/ ٣٢٥ .

١٢٧) المصدر السابق

١٢٨) المصدر السابق.

١٢٩) المصدر السابق

١٣٠) المصدر السابق.

١٣١) ينظر: المصدر السابق

١٣٢) ينظر: الخصائص لابن جنّي ٢/ ١٠ .

١٣٣) أدب الكتاب/ ٣١٧

١٣٤) المصدر السابق/ ٣١٨ ..

١٣٥) المصدر السابق

١٣٦) المصدر السابق.

١٣٧) المصدر السابق/ ٣١٩

١٣٨) المصدر السابق.
١٣٩) المصدر السابق
١٤٠) المصدر السابق.
١٤١) المصدر السابق/٣١٩
١٤٢) المصدر السابق/ ٣٢٠ .
١٤٣) المصدر السابق/ ٣٢٢ .
١٤٤) المصدر السابق.
١٤٥) المصدر السابق
١٤٦) المصدر السابق.
١٤٧) سورة البقرة/ ٧١
١٤٨) ينظر: شرح ابن عقيل ١/ ٣٣٠
١٤٩) أدب الكاتب/ ٣٢٣ .
١٥٠) مختار الصحاح للرازي/ ٥٦ (بَنَي)
١٥١) أدب الكاتب/ ٣٢٣
١٥٢) سورة التوبة/٩ .
١٥٣) سورة هود/ ٣٨
١٥٤) أدب الكاتب/ ٣٢٣ .
١٥٥) المصدر السابق
١٥٦) سورة لقمان/ ١٤ .
١٥٧) سورة الأعراف/ ٦٢
١٥٨) ينظر: في تاريخ العربية لـ د. فهاد الموسى/ ٢٢٢
١٥٩) ينظر: فقه اللغة وخصائص العربية/ ٢١٨، وينظر: التطور اللغوي/ ١١٧
١٦٠) ينظر: أدب الكاتب/ ٢٠، والمصباح المنير ٢/ ١١٥ (قَفَل)
١٦١) المصدران السابقان
١٦٢) أدب الكاتب/ ٢٠ .
١٦٣) المصدر السابق
١٦٤) المصدر السابق/ ٢١ ـ ٢٢ .
١٦٥) المصدر السابق/ ٢٢
١٦٦) المصدر السابق/ ٣٣ .
١٦٧) المصدر السابق.
١٦٨) فقه اللغة وخصائص العربية/ ٢١٩، وينظر: التطور اللغوي/ ١١٤ ـ ١١٥.
١٦٩) أدب الكاتب/ ١٨ .
١٧٠) المصدر السابق.
١٧١) المصدر السابق/ ٢٠
١٧٢) المصدر السابق .
١٧٣) المصدر السابق
١٧٤) المصدر السابق/ ٢٢ .
١٧٥) المصدر السابق
١٧٦) فقه اللغة وخصائص العربية/ ٢٢٠ .
١٧٧) أدب الكاتب/ ١٧
١٧٨) المصدر السابق .
١٧٩) المصدر السابق.
١٨٠) المصدر السابق/ ١٩ .
١٨١) المصدر السابق/ ٣٠
١٨٢) المصدر السابق/ ٣١ .
١٨٣) المصدر السابق

مصادر البحث ومراجعه

ـ القرآن الكريم
ـ أدب الكاتب لابن قتيبة: تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد(ط٤) مطبعة السعادة/ مصر ـ ١٩٦٣.
ـ الأصوات اللغوية ، د. إبراهيم أنيس (ط٥) مكتبة الأنجلو المصرية/ ١٩٧٥
ـ الاقتضاب في شرح أدب الكتاب، لابن السيّد البطلوسي، مراجعة: عبد الله البستاني، بيروت/ ١٩٠١
ـ التطور اللغوي ـ مظاهرهُ وعللهُ وقوانينهُ ـ د. رمضان عبد التوّاب (ط١) مطبعة المدني/ مصر ـ ١٩٨٣
ـ الخصائص لابن جنّي، تحقيق: محمد علي النجّار (ط٢) مطبعة دار الهدى للطباعة والنشر ـ بيروت
ـ شرح ابن عقيل لألفية ابن مالك: تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد (ط١٤) مطبعة السعادة/ مصر ـ ١٩٦٤
ـ الظواهر اللغوية في قراءة أهل الحجاز، د. صاحب أبو جناح، مطبعة جامعة البصرة/ ١٩٨٨
ـ العربية/ دراسات في اللغة والأساليب لـ يوهان فك ترجمة: د. رمضان عبد التوّاب، مكتبة الخانجي ـ مصر/ ١٩٨٠
ـ علم اللغة العربية لـ د. محمد فهمي حجازي، وكالة المطبوعات/ الكويت/ ١٩٧٣
ـ فقه اللغة وخصائص العربية لمحمد المبارك/ دار الفكر ـ بيروت/ ١٩٧٣
ـ في تاريخ العربية لـ د. فهاد الموسى، منشورات الجامعة الأردنية/ ١٩٧٦
ـ في اللهجات العربية لـ د. إبراهيم أنيس (ط٤) مكتبة الأنجلو المصرية/ ١٩٧٣
ـ اللهجات العربية في القراءات القرآنية لـ د. عبده الراجحي، دار المعارف/ مصر/ ١٩٦٨
ـ لهجة قبيلة أسد لعلي ناصر غالب (ط١)، دار الشؤون الثقافية/ بغداد ـ ١٩٨٩ .
ـ مختار الصّحاح للرازي عنيت بضبطه: سميرة الموالي، المركز العربي للثقافة والعلوم/ بيروت
ـ المصباح المنير للفيُّوميّ ـ المكتبة العلمية ـ بيروت
ـ النقد اللغوي عند العرب حتى نهاية القرن السابع الهجريّ، لـ د. نعمة رحيم العزاوي، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، بغداد/ ١٩٧٨.